المحاضرة الأولى

حركات التحرر العربية من الاستكانة إلى الاستفاقة

لقد اخضع الغرب الامبريالي العديد من شعوب العالم لسيطرته التجارية منذ مطلع ق١٥، وحول تسلطه هذا إلى تسلط سياسي اخذ من خلاله يستغل ثرواتها الطبيعية استغلالا فاحشا ،كما استغل الطاقات البشرية واستعبدتها لخدمته قرونا طويلة ، فبريطانيا لوحدها كانت تسيطر على ٣٠ مليون كلم^{٢} من الأراضي الأسيوية والإفريقية ،ثم تأتي بعدها فرنسا التي كانت وقتئذ تسيطر على ١٣ مليون كلم^{٢} معظمها في إفريقيا ،ثم تليها بلجيكا والبرتغال وإسبانيا التي كانت تخضع لها مناطق محدودة ،وظل هذا الوضع قائما حتى بعد انتهاء ح ع ٢ ،ورغم ما قدمته هذه الشعوب المستعمرة من تضحيات مادية وبشرية هائلة أثناء ح ع ٢ ،سيطرة أفرزت قمع الشعوب واستغلال خيراتها الأمر الذي ولد رد فعل ب: ظهور الحركات التحررية .

تعريف حركات التحرر:

هي رد فعل وطني من شعوب المستعمرات ضد السيطرة الأجنبية المفروضة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ،أو بواسطة أنظمة عميلة مرتبطة بالاستعمار ، كان ظهورها دائما مرتبط بوقوع الفعل الاستعماري،فالأفارقة الزنوج وقعوا تحت نير الاستعمار منذ أن وطأ فاسكوا ديكما أراضي الكاب بجنوب إفريقيا حينها تصدت له القبائل الإفريقية في مواجهات عسكرية اسماها العسكريون الغربيون بالحروب الاستعمارية، حروب أو ردت فعل أو حركة مقاومة كانت في المحصلة عبارة عن حركة تحرر انطلقت غير منظمة ثم منظمة ثم تبلورت وأخذت أساليب جديدة وألوان ساعدتها في تفعيل العملية التحررية مع الحرب العالمية الأولى ،ثم اتضحت معالمها خلال الحربين العالميتين ،وقد ظهرت أسيا وإفريقيا ثم في أمريكا اللاتينية وقد اكتس الطابعين العسكري والسياسي.

ومن أسباب نمو حركة التحرر في العالم نذكر الاستبداد والاضطهاد اللذان سلطهما الاستعمار على الشعوب الخاضعة له ،جعل من هذه الأخيرة تتطلع للحرية والاستقلال ،إضافة إلى الاستغلال البشع الذي مارسه الاستعمار على المستعمرات ،والمتمثل في استنزاف الثروات والموارد الطبيعية ،والقمع الديني والثقافي وعدم وجود حرية الرأي والتعبير في غالبية هذه البلدان المستعمرة.

كما تدخل سياسة التجهيل والتمييز العنصري التي مارستها السلطة الاستعمارية على المستوى الشعوب المستعمرة ،وقد لعبت الأمم المتحدة بعد تأسيسها عام ١٩٤٥ دور في تصفية الاستعمار ودعم حركات التحرر في العالم بغية تحقيق الأمن والسلم العالمي.

إن ظهور حركات التحرر كطرف رئيسي وفاعل في التطورات السياسية للأقطار المستعمرة لم يكن حدثا عابرا إنما أفرزته عدة ظروف وعوامل مرت بها شعوب هذه الأقطار مرتبطة أساسا بالظاهرة الاستعمارية وممارساتها ومن بين هذه الظروف والعوامل نذكر اهمها:

– **واقع العرب خلال الحرب العالمية الثانية** :عند قيام الحرب العالمية الثانية سارعت الدول الاستعمارية إلى تجنيد الكثير من شعوب المستعمرات ،وإقحامهم في جبهات الحرب المختلفة فقد قاتل نحو نصف مليون من العرب في الحرب الكبرى، من السودان إلى الشام وإلى المغرب، وبعضهم نقل بالبواخر إلى القارة الأوروبية لخدمة الجيوش المتحاربة. اعتقد الحلفاء في البدء أن منطقة الشرق الأوسط كانت مرشحة لتكون ساحة أساسية للحرب نظراً لأنها ضمن أطماع التوسع الألماني ، و سرعان ما اتضح أن تكهناتهم كانت خاطئة، إلا أن ذلك لم يمنعهم من زيادة توسعهم في الأراضي العربية، و في تلك الأثناء كان هنالك صراعات دائرة بين اهل الشام وقوات الاستعمار الفرنسي الموالية لحكومة فبشي و صراع في العراق ترجمته ثورة رشيد علي الكيلاني .

اما في المغرب العربي فلقد فاقت أعداد مقاتلي الجيش الإيطالي اعداد الحلفاء هاته الاخيرة ، تمكنت من هزيمتهم و الاستيلاء على مستعمراتهم في اثيوبيا والصومام ، و بحلول مطلع سنة١٩٤١ كانت قوات الحلفاء قريبة جداً من هزيمة القوات الإيطالية في آخر معاقلهم بليبيا، و بينما كان الصراع مستعراً في ليبيا، كانت قوات الالمانية تهاجم اليونان ، الامر الذي جعل الحلفاء يقوفن تقدمهم في ليبيا و يركزون على تحصين الدفاع عن اليونان .

لقد هاجمت القوات الإيطالية المستعمرات البريطانية في الصومال في اوت ١٩٤٠، و استولت على مدينة بربرة التي كانت عاصمة المستعمرة آنذاك ، كما شنت القوات الإيطالية هجمات على الحدود السودانية و الكينية، وفيمطلع١٩٤١ قامت قوات الكومنويلث البريطانية بشن هجمات مضادة انطلاقاً من السودان و كينيا ساهمت في تراجع النفوذ الإيطالي واحتلت اديس ابابا من طرف البريطانيين.

لقد كانت قناة السويس وأراضي سيناء المصريتان تشكل محطة إستراتيجية لبريطانيا خلال الحرب ، ففي مارس من ١٩٤٢ وصلت الوحدة العاشرة من مشاة الجيش البريطاني التي كانت متمركزة شبه القارة الهندية إلى العراق، والتي كانت تعتقد بان منطقة الشرق الأوسط لن تكون ساحة إستراتيجية للحرب، و لكن بحلول سنة ١٩٤٢ باتت قوات الحلفاء غير متأكدة من استمرارية بقائها في المنطقة، فقبل معركتي ستالينغراد بالجبهة الأوربية الشرقية والعلمين بالجبهة الشرقية في شمال إفريقيا كانت قوات الحلفاء تخشى اجتياح الألمان للمنطقة عبر أراضي تركيا أو عبر مصر بعد هزيمة الوحدة الثامنة المتمركزة هناك.

مع بداية الحرب العالمية الثانية حاز العراق استقلالاً مشروطاً من الاستعمار البريطاني ، و اشترطت بريطانيا إبقاء قواعد قواتها في العراق؛ الأمر الذي أثار استياء العراقيين و في مطلع سنة ١٩٤١ أمر الكيلاني القوات البريطانية

بالخروج من البلاد معلنا الثورة، لقد كان العراق الملكي تحت وصاية ولي العهد عبد الإله بن علي الهاشمي المناصر للبريطانيين، وكان عبد الإله خال الملك فيصل وريث عرش العراق و حكم عبد الإله العراق بالوصاية و حاول التصدي لنداء الكيلاني و حكومة الإنقاذ الوطني.

ونتيجة هذه التوجهات السياسية الوطنية و بعد ثورة الكيلاني فرض حصار اقتصادي شديد على العراق من قبل بريطانيا. ووصل الى اسماع الوصي على العرش عبد الأله بان الكيلاني يدبر لإقصائه عن وصاية عرش العراق فهرب عبد الاله وغادر العراق مما فسح المجال لتنصيب الشريف شرف وصيا على العرش بدلا عن سمو عبد الاله. الامر دفع بالقوات البريطانية لان ترد بقوة وتحاصر الثورة بحيث نزلت في البصرة و توجهت نحو بغداد لتقضي على الثورة. ان هذه الاوضاع ساهمت بشكل او باخر في احداث حالة من التغيير في مفهوم الظاهرة الاستعمارية لدى الكثير من النخب العربية على الخصوص هاته الاخيرة التي كانت الى وقت قريب تعول على امكانية اصلاح النظام الاستعماري الذي طال البلاد العربية ،بما يخدم حركة مواكبة الحضارة الغربية ،لكن وقع الحرب احدث قطيعة مع هاته الافكار بفعل تبلور حالة الوعي جراء ما شهدته هاته النخبة من عنصرية في جبهات القتال وغيرها تبلورا تطور الى اكتساب خبرة عسكرية .

لقد بدأت شعوب المستعمرات تشعر بوطأة الاستعمار وأخطاره على مستقبل بلادهم ،لاسيما بعد استنزافه لخيراتها خلال الحرب ،والعمل على طمس المظاهر الوطنية والقومية لهذه الشعوب ،كالقضاء على لغتها وحضارتها وتاريخها ،فكانت ردود الفعل الوطنية والقومية للبلدان العربية تتحرك وتطالب بنيل حريتها واستقلالها ،خاصة بعد شعورها بأن الاستعمار لا يفوقها في شيء إذ ما ترك لها المجال في الأخذ بأسباب الحضارة والتقدم والرقي.
كما خرجت الدول الاستعمارية من الحرب العالمية الثانية منهكة القوى من الناحية العسكرية والسياسية فهزائم الحلفاء أثناء الحرب ساهمت في خلق جرأت شعوب المستعمرات على المطالبة بالاستقلال والحرية ،والقيام بالثورات التحريرية بعد تيقنها من إمكانية النصر.

،وكانت بالتالي غير قادرة على مواجهة الحركات التحررية والانشغال بها ،لاسيما وأنها كانت قد استنزفت خيراتها ،فلم يعد بحاجة كبرى إليها بالإضافة إلى بداية تلا شي الإمبراطوريات الاستعمارية الكلاسيكية التي أصبحت تعد دول من الدرجة الثانية مثل بريطانيا وفرنسا .